الله طرفة عين وبكى يوما فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ثم تأمل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهو ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض
ابناء اخوانه اوصني بوصية فقال اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين
والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
قلت انا البشر انه باعلم بصلاح العبد من كل احد وليس هو انصح له وارحم
واراف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد واجمع
للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال
وانجح للامال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله امر بها عباده واوصى
خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة
وجمع الاولين والاخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمت
انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل
نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه
الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة
التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات
المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية
لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله ومنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها



واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا بد الآن من تفصيلها واعلم ان الامر كذلك فحق لها
ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى علمها وكذلك تعلم ان كل خطير
وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد
شديد فاذا كان ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالجد منك في طلبها
والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لفعل كبير وشان عظيم فان
المكارم على حسب المكاره وان اللذة على حسب المؤنات والله تعالى يقول
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله هو الرؤوف الذي
يبشر بتيسير كل عسير فاستمع ويسر وتفهم حد بيان هذه الخصلة حتى
تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعمل فان الخ
كله في ذلك والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فنقول اعلم اولا
ان التقوى في قول شيوخنا رحمهم الله هو تنزيه القلب عن ذنب
لم يسبق عنك مثله حتى يحصل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه
وبين المعاصي مثلنا قال شيخنا وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة
هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقي وقاية فابدلت
الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذا ما حصلت
وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه
على ذلك فهو موصوف حينئذ بانه متق ويقال لذلك البرية والعزم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 